العراق

رسالة من ماجد السامرائي

من السياب .. الى جواد سليم ..

لعلها اكبر من ان تكون مصادفة هذه التي جمعت بين شخصيتين من اكبر الشخصيات الفنية في مرحلة واحدة من مراحل التاريخ المعاصر لهذا القطر ، انفردت بمعطياتها الضخمة ، وبتطلع يملأ العيون الى ما يمكن ان يعيد الخصب لتربة الحاضر . كان أحد هاتين الشخصيتين رائدا في مجال الفن التشكيلي ، حيث أرسى دعائم مدرسة جديدة (جواد سليم ـ توفي في ٢٣ كانون الثاني عام ١٩٦١) .. والاخر رائدا لحركة التجديد في الشعر (بدر شاكر السياب ـ توفي في ٢٤ كانون الاول عام ١٩٦٤) .

وعلى الرغم من كون الاول فنانا تشكيليا ، والثاني شاعرا .. فان اكثر من شيء جمع بينهما على صعيد الفن ..

ـ فكلاهما كان مجددا في ميدانه . فكما كان السياب ثورة في شعرنا المعاصر ، وحافزا لنبذ كل الاطر والاساليب التقليدية التي جمدت حركة الشعر .. كذلك كان « جواد سليم » ثورة في الفن التشكيلي في هذا القطر ..

ـ السياب شكل مدرسة شعرية رسخت دعائمها في واقع كان بحاجة الى الحيوية .. وجواد أرسى دعائم « مدرسة عراقية في الفن .. فكان « المعلم والرائد » .

ـ وكلاهما ـ السياب وجواد ـ استفاد من هذه الحضارة الهائلة: حضارة وادي الرافدين .. كاشفا عن كنوزها الدفينة التي ظلت ، حتى عهدهما ، مركومة في الظل ..

ـ ثم .. ان كليهما اتجه الى « الواقع العراقي » ، محولا الكثير من مجالات حياته،وتشخصاته الى رموزلها دلالاتها الحضارية، وتجارب أفصحت عن قدرة فنية هائلة ، وحس دقيق ، واخلاص وحب ..

هذه خطوط صغيرة لما يجمع بين السياب ـ الشاعر، وجواد ـ الرسام .

ولئن كان كل منهما قد حظي بما لم يحظ به غيره من الاهتمام ونال من الدراسات الشيء الكثير . ولكن .. ومع كثرة ما كتب عنهما ، فان جوانب كثيرة من حياتهما الفنية ما تزال بحاجة الى دراسات أخرى نفسها وراء الاكتشاف ..

فالسياب الذي كانت مأساته عامل عطف عليه ، بحيث انسحب هذا « العطف » على ما كتب عنه .. فكان الكثير من هذا الذي كتب غير ممتلك قدرة « التجرد » . فجاءت أغلب الدراسات التي كتبت عنه مفتقرة الى الكثير من مفاهيم الدراسة ، ولم تقيم شعر هذا الشاعر العظيم في ضوء مفاهيم نقدية واضحة ..

.. شعر السياب ، كما هي حياته : متعدد الجوانب . مليء بالتعقيد الشخصي الذي سببته له ظروف وملابسات شتى .. وصدمات عديدة :

ـ كانت الصدمة الاولى في انتقاله من القرية الى المدينة ـ والتي تتراءى في شعره وكأنها انتقال من الربيع والضلال الى الجحيم ، ومن الطهر والبراءة الى نقيضهما ـ فواجه الحياة ، او قال واجهته بطبيعة غير التي ألفها . تبدل وجه الناس . اخلاقهم سلوكهم اليومي . نظرتهم . فأحس من خلال ذلك ان المدينة سائرة نحو التهام القرية (والقرية بالنسبة له تعني : البراءة والطيبة ، والاحلام ... الخ) . وجد المدينة ملتقى الخطوط غير متوازية ، عبرت اليها من كل منحى . وظلت ، في ذهنه صورة غير واضحة الملامح والابعاد .. عكس ما هو حاله مع القرية ..

وخوف بدر هذا ، الذي نشأ معه منذ « جيكور والمدينة » حتى « أم البروم » .. بل ومنذ « المومس العمياء » ، هو خوف الالتهام، والجوع ، والتشرد . خوف ان يصبح الانسان « كائنا بلا معالم » .

ـ الصدمة الثانية ، كانت اخفاقه في حب من احب (وهن كثيرات) . واخفاقه هذا قد اسلمه الى حالة تعقيد غريبة ، لعلها كانت دافعا في خلق روح التحدي عنده ، وعاملا من عوامل تبلور شخصيته الشعرية . فهو ازاء رفضهن (لان كل من أحببت قبلك ما أحبوني) ، لم يكن امامه الا ان يشرخ جدار الزمن .. فاتجه الشعر ، ـ مصدر عظمته ـ ، ومضى في طريق هذه « العظمة » ليصرع فيهن الغرور . كان شكله لا يستثير حبهن ، فليكن الشعر. ولكن ذلك النبوغ جاء بعد ان انتهى كل شيء . بعد انمضت كل في طريقها . (وكانت ظاهرة لها دلالاتها ، وهي ان يشعر بعضهن بحبه بعد الموت ، وتعلقهن به ميتا !) .

ـ الصدمة الثالثة ، كانت خيبته في السياسة ، والتجريح الذي ناله جراءها .. والتجريح الذي أصاب « الاخرين » من قلمه، بالمقابل ...

ـ الصدمة الرابعة ، كانت مرضه ، والاهمال الذي صاحب هذا المرض . فكان يحس بخطى الموت تقترب منه ، وهو لا يملك غير الصراخ : الصراخ بالشعر . فمواجهته الموت في عالم صاخب لا يلتفت الى أنين جريح .. فلم يبق معه سوى زخم شعري هائل ، متدفق ، قوي كالتيار ، كأنه كان « معادلا » للشيء الذي فقده (الفعل والحركة) . فان كان قد خسر « الفعل والحركة » ، فهو لم يفقد « الفعل ـ الصوت » .. وهكذا ، ظل يصرخ .. ويصرخ ، حتى مات من الصراخ !! .

وهو اليوم ارث شعري ضخم .. وتمثال يطل على منطقة أحبها (شط العرب في البصرة) .. وقبر في « الزبير » يرقد فيه جثمان شاعر « لم يكن راغبا حتى بخط اسمه على الماء » .. تماما كما كان الحال مع « جون كيتس » .. الشاعر الذي أحبه السياب ..

اما جواد السليم فهو على الرغم من غيابه عام ١٩٦١ ، ما يزال ماثلا .. لا بما أنتج حسب ، انما بروحه الفنية ، وكلماته التي ما تزال تحتفظ بصداها العميق ، وتحتل موقعها في واقع حركتنا الفنية الراهنة . ولعل هذه الاهمية التي اكتسبها جواد في حياته وبعد صوته ، أصبحت عاملا مؤثرا على الفن والفنانين في العراق اليوم . فهو يعني الكثير بالنسبة لهذه الحركة . ولعله هو «المؤثر» الكبير الذي ما يزال يحفظ لهذه الحركة « روح انضباطها » ، ويحميها من الانفلات .. وهو « المعلم » الذي يحتكم اليه الفنانون على مختلف اتجاهاتهم الفنية ذلك انه يمثل التراث ، والارضية .

من أرض تتوهج بكل الوان الحضارات ، وبكل معطيات الخصب الانساني ، طلع هذا الفنان وفي يده نار « بروميثيوس » ، وفي قلبه حب الحياة والانسان .. وفي روحه نزعة التغاني في سبيلهما. ولم يكن ذلك الفراغ الصامت في دنيا الفن الا حافزا له لان يملاه بما امتلك من قدرة افصحت عن نفسها من خلال أعماله التي جسدت كل لمسة فيها لمحة من تراب هذا الوطن ، ولم تكن رحلته تلك نزهة ، او لهوا ، او تجريبا ... انما كانت جهدا ، وعرقا ، ومغامرة .. والاكثر من هذا انها كانت حبا ، وبحثا واعيا من اجل شيء ..

في بدء حياته وجد « جواد سليم » نفسه في بيت كان جميعه فنانا .. فنبض فيه حس الفن ، وتنامى ، وتطور ، حتى اصبح اشارة كبيرة في الوجود العام لفن هذا القطر . ذلك ان لوحات جواد سليم ومنحوتاته ان هي الا « كلمات جديدة » : فهذه الاصالة في الرؤيا ، وهذه المرونة في الحركة ، وهذه الرموز الفنية (اجتماعية كانت ام حضارية) وقد تحولت الى « تكوينات » تعبر عن حساسية مرهفة ، وحس دقيق .. كل هذه كانت الاساس الكبير لهذا الفن الذي يطالعنا اليوم ، وبكثير من الثقة : الفن العراقي الحديث .

ولعل اهم ما في حياة جواد الفنية انه لم يساير مدرسة بذاتها.. ولكنه فهم الخطوط الاساسية التي تعتمدها كل مدرسة . ومن هنا بدا دعوته لخلق فن عراقي أصيل ..

قيل له مرة : « ان اكثر لوحاتك لا تخلو من حوافز ودعوات المجتمع ، وتتمثل هذه واضحة في وجود المآذن ، وارتفاع الهتافات. فهل تعتبر هذا ليس نزولا من الفنان للمجتمع ؟ » .

فكان رده : « انني في الوقت الذي ادعو فيه لخلق الفن العربي العراقي الصميم ، اود القول بانني لا أروم تحنيط العقول وتقييد الافكار المتحررة .. انما اريد « النظرة » و « الانطباعية » . اما النظرة فهي ان نرى اللوحة بسذاجتنا ، وبباصرة اجسامنا لا بعقولنا وبباصرة تفكيرنا . فانا مثلا عندما اعرض ما ارسم على خادمتنا الصغيرة تفهم ان هذا التخطيط لقطة،وذاك الاسكيز ـ أي الدراسة السريعة ـ لرجل ، وهذا الثالث الكمنجة . وانا في الوقت ذاته عندما اعرض هذه اللوحات نفسها على شخص تقمص روحية المثقف لا فهم عنها الا الشيء غير الموجود فيها .. ومرجع هذا ان الصغيرة نظرت لهذه اللوحات باحساسها وبفطرتها .. اما المثقف شاهدها ببصيرته المفكرة ، وأفقه الثقافي » .

وبعد عودة « جواد » من انكلترا ، أواخر عام ١٩٤٩ ، سعى الى تشكيل جماعة تتحقق من خلالها الفكرة التي يسعى الى ترسيخها في واقع الفن العراقي .. وكان له ذلك .. بتأليف « جماعة بغداد للفن الحديث » التي طلعت على الجمهور بأول معرض لها عام ١٩٥١ ... وهذه الجماعة تتألف « من رسامين ونحاتين ، لكل أسلوبه المعين . ولكنهم يتفقون في استلهام الجو العراقي لتنمية هذا الاسلوب . فهم يريدون تصوير حياة الناس في شكل جديد، يحدده بادراكهم وملاحظاتهم لحياة هذا البلد الذي ازدهرت فيه حضارات كثيرة واندثرت ، ثم ازدهرت من جديد ..

.. انهم لا يغفلون عن ارتباطهم الفكري والاسلوبي بالتطور الفني السائد في العالم ، ولكنهم ، في الوقت نفسه ، يبغون خلق اشكال تضفي على الفن العراقي طابعا خاصا ، وشخصية مميزة(١).

ويجد الاستاذ جبرا ان فن « جواد » مر ما بين ١٩٥١ و ١٩٥٨ ، «بثلاث مراحل (مهمة) تبلور فيها اسلوبه وتاكدت شخصيته . في المرحلة الاولى ، وهي قصيرة ، عالج فيها جواد أسلوبا أقرب الى التجربة ، ولا سيما في النحت ، متخذا شكل الهلال اساسا لمواضيع معقدة ، وآخذا الثور (بكل ما يرمز به الى حياة العراق الزراعية وتراثه الما قبل العربي) والامومة ، كموضوعين (مهمين) . غير ان الهلال يعود ثانية ، وبعنف خصب ، الى فكرة الفن العربي ، فتبدأ مرحلته الثانية ، حين يستغل الشكل الهلالي استغلالا خصبا في مواضيع شعبية . وقد لجأ اول الامر الى الالوان الهادئة ، التي لا يشتد التقابل بينها ، لكي يؤكد على قيمة التخطيط ، مستذكرا دائما الاطباق النحاسية العربية القديمة » ..

.. « وفجأة يعود جواد الى عشقه القديم للواسطي ، فيدخل الالوان الصريحة المرحة في اشكاله الهلالية ، ويحقق عددا من اجمل ما خلف لنا في هذه الفترة ، كما في صورة « موسيقى في الشارع » حيث يختلط الموضوع العراقي الشعبي بنظريات الرسام عن روح الفن العربي ، ويستمد من رسوم المخطوطات القديمة والخط العربي روحا جديدة ، ويعود الى مواضيع ألف ليلة وليلة ، مواضيع « كيد النساء » ، ومواضيع « الفرسان وخيلهم » ، ويرسم سلسلة من الصور تتفاوت حجما وزمنا ، يسميها « البغداديات » . والبغداديات كلها تتسم بالخطوط المتعرجة الحركية والالوان الصافية ـ ، وهي تمثل احيانا رد فعل الفنان لما يرى في محيطه في الشيء من السخرية والتألم وكثير من الحب والعطف(٢) .

ومع ان لجواد سليم تأثيرا كبيرا في حركة الرسم المعاصر في العراق ، فانه لم يترك لنا في مجال « الفكر الفني النظري » سوى بضع مقالات ، وملاحظات ، ومذكرات نشر بعضها ، وما يزال قسم كبير منها مطويا(٣) .. الا ان هذا الذي تركه يكاد يعرض الكثير من نظرياته في الفن .. ويضع الاسس الواضحة المعالم لتاسيس « مدرسة عراقية » في الفن التشكيلي . فجواد ليس عرضا طافرا في تاريخ فننا التشكيلي المعاصر . كانت حياته ذات شقين : الاول، ينحصر في النحت ، وهو ما أولاه الاهتمام الاكبر .. والثاني في الرسم.. مع بعض الاهتمامات الجانبية في الموسيقى. ولعل « نصب الحرية» هو من اضخم الاعمال العراقية في النحت .. تجلت فيه قدرة هذا الفنان العظيم ..وكان خاتمة لاعماله في النحت . حتى ليذهب الكثيرون ممن يتعرضون للحديث عن جواد الى ان أمثاله لا يتكررون في مستقبل فن هذا القطر الا بتكرار المعجزات .

لقد أودعه الموت في الزمن .. بمعنى ان اعماله كانت احتكاما الى الاصالة ، وتثبيتا لجوهر فن يمتلك اليوم شروطه الخاصة به .

بغداد — **ماجد صالح السامرائي**

(١) جبرا ابراهيم جبرا : الرحلة الثامنة ـ منشورات المكتبة العصرية ـ بيروت : ١٩٦٧ ـ ص ١٩٩ .

(٢) نفس المصدر ـ ص : ١٩٩ ـ ٢٠٠ .

(٣) نشر الاستاذ جبرا بعض هذه المذكرات في كتابه « الرحلة الثامنة » ، وما يزال القسم الاكبر من هذه المذكرات موزعا بين جبرا ، وزوجة الفنانة لورنا سليم .

تونس

رسالة من محمد بلحسن

فتح ملف الثقافة

قامت وزارة الشؤون الثقافية بعملية مراجعة وتقييم للعمل الثقافي الذي تم انجازه منذ عشر سنوات وتحديد آفاق جديدة للعمل الذي ينبغي القيام به في المستقبل ، وذلك بالتعاون مع رجال الثقافة والفكر والفن .. وكان الاستاذ الشاذلي القليبي وزير الثقافة قد أوضح الغرض من فتح ملف الثقافة وهو : اعادة النظر في السياسة الثقافية التي وقع اتباعها منذ ما يناهز العشرة اعوام، والانكباب على بحث اهم القضايا الجوهرية لثقافتنا التونسية وضبط

المناهج والاختبارات الاساسية التي يمكن ان نعتمدها منطلقا للخطة الثقافية التي نعتزم السير على منهاجها في السنوات القادمة لا فقط في نطاق الاجهزة والدواليب التابعة للوزارة . بل كذلك في مستوى جميع المؤسسات والجمعيات التي تعنى بشؤون الثقافة وتعتبر الدعامة الاساسية لكل عمل ثقافي يهدف الى دعم النهضة الشاملة في كافة المجالات الفكر والفن » .

وتكونت لجان قطاعية مختصة روعي في افرادها اختصاصهم في الميدان الثقافي . وبلغ عدد هذه اللجان أربع عشرة لدراسة مختلف القطاعات الثقافية من اداب وآثار ونشر وطباعة ومسرح وفنون جميلة ومعارض واذاعة وتلفزيون وسينما وموسيقى وفنون شعبية . وناقش رجال الثقافة التقارير المطروحة عليهم مساهمة منهم في هذه الاستشارة الثقافية ، وضبطت عدة مقترحات وملاحظات قصد اقرار سياسة ثقافية واضحة المعالم وطيدة الاركان ، وبغية نشر الثقافة وتوفير وسائلها وتنويع ادواتها للرفع من مستوى الشعب وانارة الافكار .

وكلفت لجنة عامة تتكون من الاساتذة : الطاهر فيقة ـ رئيسا ، وابو القاسم محمد كرو ، والدكتور محمد عزيزة ، وعز الدين باش شاوش ، وحسن العكروت ، وعبد العزيز العاشوري . بمهمة غربلة مختلف التقارير والاقتراحات والملاحظات وضبطها في تقرير نهائي بعد استخلاص كل ما من شأنه ان يكون عنصرا ايجابيا لرسم الخطة الثقافية العشرية المقبلة .

الادب التونسي في (الآداب)

تصدر (الآداب) عددا خاصا بالادب التونسي القديم والحديث ويشارك اتحاد الكتاب التونسيين باعداد محتويات هذا العدد الذي يشتمل على عدة دراسات عن تاريخ الادب التونسي واطواره المختلفة وأبرز اعلام كل طور من القدماء والمحدثين ، وبحوث عن اتجاهات القصة التونسية الحديثة وكذلك الشعر التونسي المعاصر، وقصص وقصائد نخبة من القصاصين والشعراء المعاصرين .

وكان اعضاء الوفد التونسي الى المؤتمر الثامن للادباء العرب في دمشق قد تحولوا أثر انتهاء اشغال المؤتمر الى بيروت حيث استقبلهم الدكتور سهيل ادريس وضبطوا معه محتويات هذا العدد الخاص من (الآداب) الذي نأمل ان يصدر في اقرب فرصة .

أنباء أدبية

● في نطاق تدعيم التعاون الثقافي بين تونس ولبنان وخاصة في مجالي النشر والتوزيع تم الاتفاق بين البلدين الشقيقين على اقامة اسبوع للكتاب اللبناني في تونس بداية من يوم ١٥ ابريل القادم .

● شاركت تونس في معرض القاهرة الدولي للكتاب حيث عرضت مجموعة هامة من الكتب التي صدرت خلال السنوات الاخيرة في الادب والبحث والقصة والشعر والتاريخ وقصص الصغار الى جانب كتب التراث الادبي القديم ومؤلفات ابن الجزار .

● زار تونس الدكتور ابراهيم بيومي مدكور الامين العام للمجمع اللغوي بالقاهرة حيث ألقى سلسلة من المحاضرات في كلية الشريعة وأصول الدين . وشارك في ندوة فلسفية موضوعها (طرائق تدريس الفلسفة في المؤسسات التربوية) مع شلة من أساتذة الفلسفة الاسلامية . كما ألقى الدكتور مدكور في دار الثقافة ابن خلدون امام جمهور الادباء ورجال التعليم والطلبة محاضرة قيمة عن (العربية بين اللغات العالمية) .

● اقامت دار الثقافة ابن رشيق حفلا بهيجا لتكريم المؤرخ العلامة الاستاذ عثمان الكعالي تقديرا لجهاده الطويل مدة خمسين سنة في حقل الثقافة والمعرفة وانتاجه الغزير خاصة فيما يتعلق بالبحوث التاريخية وماضي الامجاد ، كما انتظم في بهو الدار معرض وثائقي للصور التذكارية وكتب ومخطوطات المحتفى به كما صدرت نشرة للتعريف به نسبا ونشأة وانتاجا .

● لاحياء وتنمية التراث الموسيقي العربي احتضنت تونس أول مسابقة عربية لتلحين الموشحات التي نظمها المجمع العربي للموسيقى التابع لجامعة الدول العربية . وشارك في المباراة ٢٣ ملحنا من مختلف البلدان العربية ، فاز ثمانية منهم في الدورة الاولى للتصفية . وفي الدورة النهائية خلال سهرة عامة بحضور لجنة تحكيم من عدة بلدان من المغرب والشرق العربيين فاز بالجائزة الملحن اللبناني المطرب حليم الرومي .

تونس — محمد بلحسن

★ ★ ★

غياب بن عياد ..

توفي في باريس هذا الشهر عن اثنين واربعين عاما الممثل التونسي المعروف علي بن عياد رئيس فرقة مدينة تونس اثر نزيف دموي في الدماغ .

وكان علي بن عياد كتلة من النشاط والحيوية ، وهب حياته كلها للفن المسرحي ، وعمل ليلا ونهارا لتكوين « ذخيرة » مسرحية تحمل طابعا تونسيا صميما . واستطاع ان يثبت وجود المسرح بعد الاستقلال، وان يعزز مكانة الفنان الممثل ، ماديا ومعنويا ، وان يدافع عن حقوقه ، ويفرض الاعتراف به والاحترام لمهنته .

اما اسلوبه المسرحي فكان يعتمد على التاليف التونسي من غير ان يلجأ الى الاقتباس الاجنبي الا عند الضرورة القصوى ، لانه كان يعتقد ان المسرح في هذه البلاد يجب ان يكون تونسيا صميما او لا يكون ، ذلك ان المسرح ، في نظرة للشعب ومن الشعب ، فكان يقدم مسرحياته بدءا من العاصمة حتى ابعد نقطة من البلاد . ولم يمنعه ذلك بالطبع من ان يخرج هذا الفن التونسي الى العالم ، ويفرضه في « مسرح الامم » في باريس مرات عديدة ، وفي « اوبرا القاهرة » وفي مسارح بيروت وفي اوبرا عاصمة الجزائر وفي مسرح الرباط وفي عاصمة النمسا .

ومن ابرز المسرحيات العالمية التي قدمها الفنان سواء التي قام فيها بادوار البطولة او باخراجها مسرحيات « كاليغولا » و « مراد الثالث » و « يارما » و « ثورة صاحب الحمار » و « عهد البراق » و « اقفاص وسجون » . وكان لهذه المسرحيات صدى كبير في البلاد العربية وفي باريس .

فلسطين

ماركوز في نابلس

تلقت « الآداب » الرسالة التالية من صديق لها في الارض المحتلة عن زيارة هربرت ماركوز لاسرائيل :

في شهر ديسمبر ١٩٧١ لبى الفيلسوف هربرت ماركوز دعوة تلقاها من مؤسسة فان لير في القدس لالقاء بعض المحاضرات في اسرائيل . وحاضر ماركوز في فلسفة الجمال . لم يتطرق الى الوضع في الشرق الاوسط وأبى ان يتحدث او يجيب على الاسئلة السياسية التي وجهت اليه الا في الايام الاخيرة من زيارته لاسرائيل ولعله تعمد ذلك ، تعمد الا يلمس هذا الموضوع الحساس قبل ان يرى الوجه الاخر للعملة ، أي قبل ان يلتقي بعرب الضفة الغربية . فلقد طلب من مضيفيه تهيئة لقاء له ببعض العرب هناك ... ان

ماركوز يبحث عن الحقيقة ويسعى اليها .

وكان اللقاء ... في نابلس ... في احد البيوت القائمه على سفح جبل جرزيم ، كان اللقاء ..

كانت تصحبه زوجته ، السيدة التي يحملها ماركوز مسؤوليه الكثير من الافكار التي تضمنها كتابه « الانسان ذو البعد الواحد ».

ومع احتساء القهوة تحدثه صاحبة البيت عن ترجمة كتبه الى اللغة العربية في بيروت ، وحين تذكر كتابه المترجم « فلسفه النفي » تبدو الدهشة والرضى على الوجه الذي لم تستطع الثلاث والسبعون اخماد حيويته .

ـ : أهذا ايضا ؟ انه من احدث كتبي ، اخرجته المطبعة قبل عام فقط .

ـ : المثقفون العرب يلاحقون أفكارك أولا بأول ..

ـ : هل يعرفون اللغات الاجنبية ؟

وتجد هي السؤال غريبا .. ولكنها تجيب ببساطة وقد اخفت استغرابها .

ـ : كلهم ، ومنهم من يتقن أكثر من لغة أجنبية واحدة .

ويلتفت ماركوز الى احد مرافقيه من اليهود ويسأله :

ـ : هل ترجم هذا الكتاب الى العبرية ؟

الجواب بالايجاب

وتسأله صاحبة البيت ان كان في نيته زيارة بعض البلاد العربية، ويجيب ماركوز بحماس : « تلقيت دعوتين من بيروت والقاهرة ، وقبلت كلتيهما قبل ان اتلقى الدعوة لزيارة اسرائيل .. طلب تحديد الموعد ، لا ازال انتظر الى الان ، لم اتلق اي رد .. استغرب هذا .. »

وتعبر السيدة ماركوز عن رغبتهما الصادقة في زيارة البلاد العربية .. تقول « ان كان بامكانك توصيل هذه الرغبة الى الجهات المعنية في القاهرة وبيروت فأرجو ان تفعلي ، اننا لا نزال ننتظر »

ويدخل ماركوز الى الموضوع الكبير ..

ـ : تسألون أم أسأل ؟

ـ : أنت تسأل ونحن نجيب .

وتبدأ الاسئلة .. انه يحاول تلمس الحقيقة .. يريد ان يضع اصبعه عليها ، ان يلمسها كما هي ، عارية مكشوفة ..

الذي يقال عن تعسف السلطات الاسرائيلية ، ما مداه من الصحة ؟ ويستعرض ماركوز ما قرأه عن ذلك التعسف .. أهذا صحيح ؟

يستمع ، يصغي بانتباه شديد الى الاجابة .. نسف البيوت .. التعذيب في السجون .. ترحيل السكان في بعض المناطق المحتلة.. الابعاد الى الضفة الشرقية .. تقييد الحريات .. الديمقراطية الزائفة ..القرى العربية الي لم يبق لها من أثر ..

يقطب ماركوز ويسأل : ـ أين ذهب سكان تلك القرى ؟

ـ : ثلاثة ارباعهم لجأوا الى الضفة الشرقية والباقون تبعثروا هنا وهناك ..

ويطرق ماركوز مستغرقا في تفكيره ..

كانت الاجابات صريحة ، واضحة ، محددة .. لا تهويش ، لا تهويل ، لا مبالغة . اجابات مدعومة بذكر الاسماء والارقام والتاريخ اذا استدعى الامر ذلك . لقد تعلم سكان الضفة الغربية الكثير منذ الاحتلال الاسرائيلي . المبالغة والتهويش وعدم التزام الصدق التام في طرح الامور امام الباحثين عن الحقيقة يسيء الى قضيتهم العادلة، القضية التي بقيت عشرين سنة في أيدي محامين فاشلين ..

في اسرائيل يشوه وجه الحقيقة ويلفلف ببراعة وذكاء ودهاء لا مثيل له ، حتى يبدو الباطل حقا والحق باطلا .. ما دام العرب لا يتقنون هذا الفن الرهيب ، وما دام التهويل والتهويش يعودان عليهم بالخسران فلا بد من التخلي عن الاساليب القديمه التي ما يزال يفيد منها العدو في مجال الدعاية .

كان ماركوز يصغي ، يفكر .. كانت الحقيقة تنقل الية بموضوعية وبهدوء وبدون تشنج ...

قال احد الشباب الفلسطينيين : لا نريد اسرائيل التنازل عن شيء .. هي تريد استسلاما ، تريد توسعا . تتذرع بحكاية الحدود الامنة .. المستوطنات اليهودية ما نزال نقام واحدة بعد الاخرى على طول نهر الاردن .. القدس يتمسكون بها ، هضبات الجولان لا يمكن التخلي عنها لسوريا .. الخ هذا هو موقفهم الذي لا يتغير..

هنا يستأذن العازر بئيري (من حزب المبام) ليتحدث عن مدى ما عانته المستوطنات التي تشرف عليها هضبات الجولان من الاعتداءات العرب ، وليقول ان تمسكهم اي اليهود بهذه الهضبات ضرورة أمنية قصوى .

ويجيبه ماركوز : لكن ممكن اعادتها عند التسوية وجعلها منطقة مجردة من السلاح .. انكم تضيعون كل فرصة سانحة للسلام ، وتضعون العراقيل .. اخطأتم خطأ كبيرا حين لم تستجيبوا للمبادرة المصرية ، كان من الممكن ان نكون خطوة هامة جدا الى الامام .

ومما قاله ان على المفكرين من كلا الطرفين العمل على تهيئة الجو للتفاهم وتبادل الثقة والسعي معا نحو سبيل أفضل لفض النزاع .

وهنا قال الدكتور مناحم ملسون (استاذ الادب العربي الحديث في الجامعة العبرية في القدس ، وله دراسات كثيرة عن اعمال نجيب محفوظ بصورة خاصة وعن اعمال أدباء عرب اخرين عامة) قال ملسون : من العجيب ان المفكرين العرب يظلون منطقيين الى ان يتناولوا قضية النزاع العربي الاسرائيلي . يفقد المنطق عندهم دروبه وتغيم النظرة الثاقبة للامور ، كالدكتور صادق العظم مثلا يساري . وموقفه تجاه اسرائيل نابع من حقيقة كون اسرائيل دولة تابعة ودائرة في فلك الاستعمار الامريكي .

هنا اجاب الطرف الاخر : لا تنس ان دكتور صادق العظم مفكر

وقال ماركوز : هناك دولة عربية تابعة ايضا للامبريالية الامريكية.

ـ : لكنا ضد تلك التبعية ، اجاب الطرف الاخر . ثم لا تنس ان اسرائيل هي دائما التهديد المباشر لكل دولة عربية تناهض الامبريالية ، انها سلاح امريكا الموجه الى الدول العربية دائما .

قالت السيدة ماركوز : « This is a nice touch » وابتسمت

وقبل مغادرته نابلس وعد بان يوافي الحضور بالتقرير الذي سيكتبه عن انطباعاته التي تركتها لقاءاته مع الطرفين .

وفي مؤتمره الصحفي الذي عقده قبل مغادرته البلاد بأيام قليلة سلم ماركوز تقريره الى الصحفيين الاسرائيليين بعد ان اشترط عليهم عدم التحريف في اقواله وآرائه التي أعلن عنها في ذلك التقرير ، كما بعث الى نابلس بنسخة منه ..

قال بعض اليهود في اسرائيل : لقد خيبنا ماركوز ، لسنا براضين عن موقفه .

لقد أدانهم ، وقال في مكان اخر : كنت أتعاطف مع اليهود يوم كانوا مضطهدين في العالم .لكني لا استطيع التعاطف معهم مطلقا وانا اراهم اليوم يوقعون الظلم بشعب اخر .

مكتبة
دار الآداب اللبنانية
٤١ شارع شريف ـ القاهرة
بادارة فتحي نوفل
اطلب منها جميع منشورات دار الآداب
ودور النشر اللبنانية ومجلة الآداب كل شهر